تجليات البعد التعليمي في الخطاب الإبراهيمي

للجزائر كما للأمم العريقة في المجد والحضارة تراث أدبي يربط حاضرها بماضيها فتبني عليه مستقبلها، وهو ضمان لحفظ كيانها وتدعيم بنيانها، ولم تتأخر الجزائر عن ركب هذه الأمم في عصر من العصور وخاصة في الميدان الأدبي، فقد ساهم كل من الخطاب[1] النثري والشعري في إعلاء وتطوير ميادين كثيرة على الصعيد الإصلاحي والتربوي التعليمي، وكان للأقلام الحبرية أثر في الثورة الجزائرية المجيدة التي كانت مفتاح خير على شعب عانى الأمرّين على مدى أكثر من مائة وثلاثين سنة من جهل وتخلف، ومحاولة مسخ لشخصيته الحضارية والدينية... ، فمن الصعب على يد التاريخ أن تمتد إلى تيارات الإصلاح فتحكم عليها بالموت أو تقضي عليها بفاعل النسيان، إذ يبدو أن في أدب هذه التيارات قوى خفية تمدها بمناعة داخلية تجعلها بمنأى عن سهام التاريخ ونصاله، فالجوانب الموضوعية فيه أو المضمون الفكري والاجتماعي والتعليمي، وصياغته الفنية الحقة للتجارب الإنسانية تجعل منه وسيلة تفضي إلى غاية؛ الوسيلة جمال اللفظ والكلمة، والعبارة والأسلوب، والغاية هي الإبلاغ والتعبير والإمتاع والتأثير من أجل التغيير، والأديب الحق هو الذي يجمع بين جمال الصياغة وسمو الغاية، وإبلاغ الفكرة وهذه السمة البارزة في أدب الشيخ العلامة البشير الإبراهيمي.

فكتابات الشيخ البشير الإبراهيمي مثلت النموذج الأدبي الإصلاحي التعليمي بأجمل صوره، فهو يجمع بين العناية بالصياغة وبين التعبير عن العاطفة والشعور المتقد، كما يجمع بين الفكرة الإصلاحية التعليمية في مضمونه وبين الجمال الأدبي في تعبيره، فالإبراهيمي مستغرق إلى الأعماق في قضايا أمته " فإذا كتب لا يكتب إلا عن حالها وإشكالها وآمالها، وإذا عبر فلا يعبر إلا عن حقيقتها ومقوماتها ورجالها وأبطالها، وإذا أفضى بمشاعره فإنها مشاعر الحب لها، والإشفاق عليها، والحزن على أحوالها فكأنما هو الأمة إذا نطق فإنه ينطق باسمها" [2] .

لقد أحب الشيخ الإبراهيمي وطنه وأخلص له، وأحب أمته وتعلق بها ناصحا وموجها، فكانت شخصيته مؤثرة في الإصلاح والثقافة، والتربية، والأدب، وكان له دوره البارز ومواقفه الواضحة فاحتل مكانة خاصة في الوطن وخارجه [3].

وقد ارتأيت أن انطلق من دراستي للمحتوى الموضوعي للأدب الإبراهيمي لأقف على المجالات التي نلمس فيها الرسائل التعليمية والتربوية التي طمح الإبراهيمي إلى ترسيخها، وتوعية الشعب الجزائري من خلالها، وهي: المجال السياسي، المجال الاجتماعي، المجال الديني، المجال التاريخي.

ولعل تكلفي طائفة من اللوحات الفنية في خطاب الإبراهيمي النثري والشعري في هذا المقام أن أقدم صورة مصغرة لجهد الشيخ العلامة البشير الإبراهيمي في تحرير العقول، بترسيخ البعد الإصلاحي التربوي في ذاكرة الشعب وعروبة الأمة.

1- المجال السياسي:

إن للكاتب دورا فعالا في نقل قضايا عصره بالتعبير في صورة واقعية، فالكاتب (شاعرا كان أم ناثرا) هو لسان شعبه في السراء والضراء يدافع عنه بقلمه وقرطاسه، والأدب الجزائري كان دائما عربيا " يجب أن يظل أدبنا عربيا يستمد شخصيته وأهدافه من حاجتنا الواقعية لا المفتعلة ولا المزيفة " أما قضية قوميتنا: " فليس ميدان سلاح وحرب، وإنما هو ميدان عقل وفكر "[4]، وذلك حال البشير الإبراهيمي وأدبه التحرري الإصلاحي الذي يصور الحياة الثائرة في الجزائر، فهو يؤمن أن الكلمة أثمن من السلاح وأن مهنة الفكر هي إيقاظ الدولة لا خدمة ركابها، وأن علاقة المثقف بالسلطة لا يمكن أن تكون علاقة ولاء[5] .

لقد أحس الإبراهيمي بالمسؤولية الكبرى الملقاة على عاتقه تجاه الظلام الاستعماري الذي كان الشعب الجزائري يعيش تحت ظل سواده، فنصّب نفسه مدافعا عن الأمة مكافحا بقلمه ولسانه ضد عدوها بكشف جرائمه، وفضح حقيقته الدنيئة، وهدم دعاويه الكاذبة ....، فهي – في نظره – رسالة يحملها، وأمانة في حق مجتمعه وأمته لأن الإسلام يقضي ذلك كما يقول: " نحن سياسيون منذ خلقنا لأننا مسلمون منذ نشأنا، وما الإسلام الصحيح بجميع مظاهر إلا السياسة في أشرف مظاهرها ... نحن سياسيون لأن ديننا يعد السياسة جزءا من العقيدة، ولأن زماننا يعتبر السياسة هي الحياة ... ولأن السياسة نوع من الجهاد، ونحن مجاهدون بالطبيعة فنحن سياسيون بالطبيعة"[6].

إن كتابات البشير الإبراهيمي السياسية تمثل الصراع العنيف الذي كان قائما بين إدارة الاحتلال والشعب الجزائري الذي تمثله جمعية العلماء المسلمين، فالإبراهيمي لا يختص في خطابه الشعري والنثري بمعالجة مشكلة واحدة، وإنما تطرق إلى معظم الجوانب والمشاكل لكشف حقيقة وواقع الاستعمار آملا أن يرى شعبه ينعم بالحرية والاستقلال، ولن يكون هذا في رأيه إلا بتوعية هذا الشعب وتثقيفه بمعالم السياسة الاستعمارية ومكائدها، وترسيخ الأبعاد التعليمية التي جاءت في رسائله الأدبية في العقول والألباب، وخير ما نستدل به هو ما جاء في مقالة (الأديان الثلاثة في الجزائر) : " جاء الاستعمار الدنس الجزائر يحمل السيف والصليب، ذلك للتمكن، وهذا التمكين، فملك الأرض واستعبد الرقاب، وفرض الجزي، وسخر العقول والأبدان، ولو وقف عند حدود الدنيويات لقلنا: تلك طبيعة الاستعمار الجائع تدفعه الشهوات إلى اللذات ... ولكنه كان استعمارا دينيا مسيحيا عاريا وقف للإسلام بالمرصاد من أول

يوم "[7]. كما يقول في مقالته (حدثونا عن العدل فإننا قد نسيناه) : " هلم إلى الدين تجد الاستعمار الذي كفر بالأديان يقول بصريح القول والعمل : أنا أحق منك بالتصرف في دينك، فلا تدخل المسجد إلا بإذني، ولا تصل إلا وراء إمامي، ولا تحج إلا برخصتي، ولا تصم إلا على رؤيتي ... ومعنى هذا كله نسخ آية في القرآن بآية من وحي الشيطان، و لم يبق إلا أن تتلوها كما يريد (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي للاستعمار). وكذب الشيطان الرجيم "[8] .

نلاحظ في حديثه عن قضية فصل الدين عن الدولة مسحة سخرية وروح الصراع، كما نستشفها منذ قراءة عنوان مقالاته (عادت لعترها لميس)، فالشيخ الإبراهيمي يبدو في مقالاته محللا سياسيا بارعا محنكا خبيرا بحقائق السياسة الاستعمارية، عالما بأسرارها وخفياها، فهو يقول رحمه الله في مقال بعنوان (جناية الحزبية على التعليم والعلم) : " وأمة كاملة كانت نهبا مقسما بين متعاونين على إبادتها: مادي متسلط على الأبدان، روحاني متسلط على العقول، فصححت حركة الإصلاح الديني عقولها فصح تفكيرها واتزن تقديرها، واستقام اتجاهها في الحياة، وأن تحرير العقول في الأوهام سبيل ممهل إلى تحرير الأبدان في الاستعباد " [9].

إن الذي يتمعن في هذا المقال يكتشف أن الإبراهيمي كان بالمرصاد لكل من تخول له نفسه خيانة الوطن والدين، وتسول له بأن يعبث بمقومات الأمة لأنه كان يدرك أن لا تحرر بدون علم شامل، ولا علم بدون لغة القرآن، ولا وطن ولا وطنية إلا إذا قمنا بإصلاح شامل للسياسة المزيفة التي أراد الاستعمار تثبيتها وترسيخها، ولعل هذا المطلب الأول الذي جعل الخطاب الإبراهيمي يشع بالأبعاد التعليمية " فالجزائر ليست فرنسية، ولن تكون فرنسية كلمات قالها أولنا ، و يقولها آخرنا، و مات عليها سلفنا وسيلقى الله عليها خلفنا " [10]. ومنه نخلص أن الإبراهيمي كان وفيا للوطن مدافعا عن مقوماته بإخلاص، تكلم عن عروبتها، و لغتها، ودينها ،تحدث عن الجزائر كشعب، ووطن، وحدود جغرافية ....

كتب عن فاجعة 8 ماي 1945 تحت مقالة بعنوان (ذكرى 8 ماي) التي شحنها بعواطفه الحارة ألما على الجريمة الشنيعة، وحبا للوطن المصاب، وثورة على المستعمر الخائن حيث افتتحها قائلا : " يوم مظلم الجوانب بالظلم، مطرز الحواشي بالدماء المطلولة، مقشعر الأرض من بطش الأقوياء، مبتهج السماء بأرواح الشهداء، خلعت شمسه طبيعتها فلا حياة ولا نور، وخرج شهره عن طاعة الربيع فلا ثمر ولا نور وغبنت حقيقته عن الأقلام فلا تصوير ولا تدوين " [11] . وقد كتب الشيخ الإبراهيمي بعد ذلك عن هذه المناسبة يقول عن الحكومة الفرنسية : " ... كأنها رأت أن عدد القتلى لم يبلغ النصاب المقرر فحكمت محاكمها العسكرية على العشرات بالإعدام " ، أما عن إطلاق سراح المعتقلين فيقول :

واليقظة، والنهوض، وضرورة الإصلاح الشامل للسياسة المزيفة من داخل أو من خارج الحدود الترابية للجزائر يقول فيه:

للناس عيد ولي هموم في العيد فلا يغرنك تصويبي وتصعيدي[15]

فالشيخ الإبراهيمي يعلمنا العروبة في أسمى معانيها، فما العبرة أن نفرح بالأعياد إن لم تكن مناسبة لتذكر فلسطين السليبة، فلسطين القضية، وما قيمة الإنسان إن لم يكن حاملا لقضية، وهذا ما سعى الإبراهيمي وناضل من أجله؛ وهو جعل فلسطين القضية الجوهرية لكل جزائري وعربي مسلم والشيء الذي يمكن ملاحظته أن الشيخ العلامة في حديثه عن الشؤون السياسية، وعن قضايا الوطن والتحرر، ومجابهة الاستعمار كان دائما يقرن هذا بالتغني بالعروبة والإسلام مازجا هذه الموضوعات الثلاثة، فلا ينظر إليها باعتبارها قضايا منفصلة بل ينظر إليها نظرة واحدة.

2- المجال الاجتماعي:

يمكن القول أن الحالة الاجتماعية في الجزائر كانت من صنع الاستعمار، وهذا ما طرح مشاكل عويصة مازالت الجزائر تعاني من أثارها حتى الآن، ومن المشاكل الاجتماعية الأمية، هذه الأخيرة التي قال عنها البشير الإبراهيمي أنها من النقائض التي تؤدي إلى نقض حيوية الأمم، وقد تنتهي بالأمة للفناء والعدم. وقد كان البشير الإبراهيمي متفطنا للدور السلبي الذي تلعبه حيث قال: " لا تفشو الأمية في أمية إلا وأفقدتها معظم خصائص الحياة" [16]، ويمكن القول أنه السلاح الذي كان يستعمله المستعمر للسيطرة على الشعب الجزائري، فالإبراهيمي يصور لنا خطورة الجهل والأمية بصورة تطابق حقيقة نية المستعمر المستدمر، وكيف وصل إلى تحقيق نواياه المبينة في قوله:

إذا العقول جاعت حامت إلى الأوثان

وإذا النفوس إلتاعت هامت بدين ثانٍ [17]

فقد كان البشير الإبراهيمي على وعي تام بالدور الذي تلعبه الجمعيات في تعليم المجتمع والحفاظ على مقوماته وأهمها الدين، ولعل الدور الذي تلعبه جمعية العلماء المسلمين خير دليل على ذلك، إذ يقول في ذلك :" إن هذه الجمعية كالسحاب ساقه الله إلى بلد ميت فلا يقلع حتى يحييه، وإذا كان إحياء المطر للأرض معنى فوقه التجديد، فكذلك معنى هذه الجمعية، وإن سائق المطر للبلد الميت هو سائق هذه الجمعية لهذا الوطن المشرف على الموت" [18]. فالإصلاح الديني لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي كما عنون خطبة له.

كما أن شعار الإبراهيمي وجماعته الإصلاحية هو حماية اللغة العربية من الضياع، فاللغة العربية هي الهدف الأول والأكبر باعتبارها لغة الدين والقرآن، ولغة الأمة الجزائرية، وهي معبرة عن كيانها

ووجودها، والإبراهيمي يدرك أن النزعة البربرية التي صنعها الاستعمار ما هي إلا مكر استعماري بغرض التفرقة بين أبناء الوطن الواحد والدين الواحد إلى شعبين عربي وبربري (أي بني القبائل والعرب) عملا بسياسة (فرق تسد) ، وبناء على هذا يمكن لدارس الأدب الإبراهيمي أن يخلص إلى أبعاد تربوية تجديدية في المجال الاجتماعي ذلك من خلال كتاباته ومعالجته لقضايا اجتماعية، نذكر منها للتمثيل لا الحصر مقالات بعنوان (التعاون الاجتماعي) ، (الإنسان أخو الإنسان)، (الشبان والزواج) ، (الطلاق) (الصداق، وهل له حد؟)[19]، وبأسلوب من الموضوعية والمباشرة والوضوح يعرض الإبراهيمي أفكاره في الإصلاح الاجتماعي التي تحمل في طياتها رسائل تعليمية كبيرة لشباب الوطن والأمة العربية جمعاء داخل إطار حركة تنويرية، لإنهاض وإيقاظ الشعب، ومحاربة كل الأساليب الاستعمارية التي تحاول طمس الشخصية الجزائرية.

3- المجال الديني:

يتجلى في فكر البشير الإبراهيمي أن المبدأ الديني هو الأساس، وهو فاتحة الأعمال للحركة الإصلاحية الجزائرية، لذا جاء شعار جمعية العلماء المسلمين مخلصا في أن الإسلام ديننا والعربية لغتنا " والمقالات الدينية التي كان المصلحون يكتبونها كانت مشبعة بالنزعة الإصلاحية المتحررة الداعية إلى ربط الأعمال بالأقوال، وتطبيق المبادئ الدينية في مجالات الحياة" [20] .

فقد ركز الشيخ العلامة البشير الإبراهيمي في مشروعه النهضوي على الإسلام؛ وقد كان يرى في الإسلام ركيزة أساسية للنهوض بالجزائر والتصدي للاستعمار من خلال غرس تعاليمه في الشباب الجزائري، بل وذهب أبعد من ذلك فهو يرى فيه أصلح نظام لقيادة العالم الإنساني إذ يقول:" هو الإسلام، ولا نأبه لدهشة المندهش ونأتي بالحجة على لون أخر وهو أن الإسلام عقائد وعبادات وأحكام وآداب، وكل هذه الأجزاء رامية إلى غرض واحد وهو إصلاح نفس الفرد وهو أصل لإصلاح النفسية الاجتماعية ..."[21].

كما يقول مدافعا عن الإسلام في قصيدة له يفتتحها بقوله: (بوركت يا دين الهدى ما أثبتك) وهي أبيات من الرجز يصف فيها الإسلام ومكانته الجليلة، وما حققه هذا الأخير للأمة الإسلامية قاطبة بل وللإنسانية أجمع فهو مجمع للفضائل الإنسانية، وهو الحق في قوله:

شعارك الرحمة والسلام للعالمين واسمك الإسلام
الحق من سماتك الجليلة والعدل من صفاتك العلية
والعقل منذ كنت من شهودك والفكر بعد العقل من جنودك [22]

وفي هذه القصيدة يدافع البشير الإبراهيمي عن الإسلام، ومن خلاله عن الإنسانية فهو الرحمة والسلام، والحق، والأمان، وتظهر في هذه القصيدة مدى الخصوبة والعمق في تناول شيخنا الإبراهيمي أثر الإسلام في الحفاظ على كرامة الإنسان، وأثر هذا الأخير في السمو بالعقل والفكر، ومن هذا المنطلق كان الإبراهيمي يدرك تمام الإدراك أن الإسلام هو السبيل الوحيد للحفاظ على هوية الجزائر العربية المسلمة، ولأنه يدرك أيضا أن الشعب الذي لا عقيدة له يسهل ابتلاعه ومسخه. فالاستعمار جاء كالمرض الوافد يحمل الموت وأسباب الموت، وجد هذه المقومات راسخة الأصول، فتظاهر باحترامها ولكنه في باطنه عمل على محوها بالتدريج، فهو كالسل يحارب أسباب المناعة في الجسم الصحيح، وهو في وطننا قد عمل على نزع أحكام الإسلام ونسخ شريعته، وعبث بحركة المعابد وحارب الإيمان بالإلحاد والكفر، والفضائل بحماية الرذائل، والتعليم بإنشاء الأمية [23].

وضمن رسائله التعليمية التي أسهمت في توعية الشعب الجزائري تكلم البشير الإبراهيمي عن المكائد التي تحاك ضد الإسلام والمسلمين، ومن ذلك الاستعانة ببعض أبناءه الضعفاء لضربه حيث يقول:

ثم استعانوا من بنيك بثبات ليس لهم في موقف الحق ثبات

وما قدمه المستشرقون في مساعدة المستعمر والتمكين له، وبخاصة من الناحية الثقافية والدينية وذلك من خلال الأكاذيب التي تشوه صورة الإسلام [24].

أضف إلى ذلك ثورته على رجال الدين في الجزائر لتطهير الدين من بؤرة فساد رجاله، فالطرقية حسب رأيه نوع من أنواع الاستعمار الثقافي والفكري، إذ يقول: " لعمرك أن الطرقية في صميم حقيقتها احتكار واستغلال للمواهب والقوى، واستعمار بمعناه العصري الواسع، واستعباد بأفضع صوره ومظاهره" [25].

فما تعرض له الإسلام من اضطهاد بصورة لم يحدث لها مثيل في العصر الحديث إلا في الجزائر وتلك الروح الصليبية التي صاحبت الغزو الاستعماري، ضف إلى ذلك انتهاك حرمات الدين ومقدساته حسب خطة مبيتة، ويؤكد هذا ما جاء في خطاب الساسة والعسكريين الفرنسيين الذين كانوا يتنبؤون بأنه "خلال عشرين عاما لن يكون في الجزائر إله غير المسيح" ، ولكي يصل هذا الاضطهاد إلى ذروته عمدت السلطات الفرنسية إلى سيطرتها على كل ما يتصل بالدين من قريب أو من بعيد [26].

ومن خلال ما سبق نستنتج أن العلامة الإبراهيمي كان واعيا ومدركا بخطر الاستعمار، فقد شخص داءه وبيّن دواءه المتمثل في العودة إلى الدين الإسلامي الحنيف — فصل الدين عن الدولة — فهو طوق النجاة من كيد الاستعمار، وفي هذا بعد تعليمي أراد البشير الإبراهيمي إيصاله إلى عقول الشباب

في فترة حاول فيها المستعمر طمس هوية الجزائر ومعالمها ومقوماتها، وتمثلت في رسالة دينية تعليمية مفادها أن تحرير العقول من الأوهام والضلالات في الدين والدنيا أساس لتحرير الأبدان.

ولعل من الأبعاد التعليمية لخطاب الإبراهيمي أيضا دعوته إلى التمسك بالأخلاق، وهذه الأخيرة التي هي مطلب أساسي وشيء لا بد منه لسمو الأمم على مر العصور، ولذلك كان البشير الإبراهيمي المربي والمصلح دائم السعي لغرس الأخلاق العالية في نفوس الأمة الجزائرية.

4- المجال التاريخي:

كان للتاريخ الإسلامي بكل ما يحمله من مقومات أثر بالغ الأهمية في الأدب أو الناتج الذي خلقه الإمام البشير الإبراهيمي، والمتصفح للخطاب الإبراهيمي يلاحظ أنه " لم يخصص مقالات أو محاضرات كثيرة يتناول فيها دراسة التاريخ إنما كان حديثه في هذا المجال يتخلل أحاديثه في المجالات الأخرى السياسية والإصلاحية والدينية" (27).

فالتاريخ الإسلامي والموروث الثقافي يمثل المرجعية الدينية والقومية لكل عربي ومسلم، وبعدّ الشيخ العلامة البشير الإبراهيمي انطلق في مشروعه النهضوي من ثلاثية الجزائر، العروبة، الإسلام، فإن التاريخ هو الدليل الأول، والحجة الدامغة التي تزيل الغبار عن الحقائق، وتربط ماضي الأجيال بحاضرها وعروبة الأرض بإسلامها ... ، ونلمس هذا المجال في كتاباته السياسية كاستعانته بالتاريخ لإثبات إسلامية فلسطين في مقالة: (تصوير الفاجعة) بقول: " يا فلسطين ملكت الإسلام بالسيف، ولكنه ما ساسك ولا ساس بينك بالحيف، فما بال هذه الطائفة الصهيونية اليوم تنكر الحق، وتتجاهل الحقيقة وتجحد الفضل ... ما بالها تدعي إرثا لم يدفع عنه أسلافها غارة بابل، ولا غزو الرمان ولا عادية الصليبيين ... " (28)

كما نلحظ هذا الموروث التاريخي في الخطب التي كان العلامة يلقيها كما قال في (عبرة من ذكرى بدر) : " وقعة بدر هي أم الوقائع في التاريخ الإسلامي، هي أهم الوقائع في تاريخ الإسلام الحربي لأنها أول غزوة شهدها الرسول ﷺ بنفسه بعد غزوات الاستطلاع. ويوم بدر هو يوم الفرقان لأنه أول يوم انتقلت فيه الدعوة الإسلامية من اللسان والحجة إلى السيف والدم، وهي أول رقعة تقدر فيها قواعد الحرب وأحكامه وآدابه ... أسوق هذه العبرة إلى إخواني المسلمين عموما وإلى قومي العرب خصوصا ليعلموا بماذا انتصرت الفئة القليلة بوم بدر، فيعلموا لماذا انكسرت فئتهم الكثيرة يوم فلسطين، وإن في اليومين لآيات لقوم يعقلون وأين من يعقل أو من يعمى؟ والسلام عليكم وبركاته" (29).

كما رسم الإبراهيمي خطوط الأبعاد التاريخية الإسلامية في بعض مقالاته الدينية والإصلاحية كمقالة (عواقب سكوت علماء الدين في الضلال في الدين)، (هجرة النبوة من مكة إلى يثرب)، إلى

جانب ما كتبه في مقالات نشرت في عيون البصائر تحت عنوان (شخصيات)، ففيها الكثير من التسجيل التاريخي لشخصيات شهيرة .

فالشيخ العلامة البشير الإبراهيمي زاوج في تحرير العقول بين الأسلوب الديني الإصلاحي وبين نماذج من التاريخ فربط الحاضر بالماضي، وبالتالي أسهم من خلال خطابه الأدبي نثرا وشعرا في تعليم التاريخ والثقافة الإسلامية، وترسيخها في الذاكرة الإنسانية.

ونلخص في الأخير أن الشيخ العلامة البشير الإبراهيمي رجل العروبة والإسلام والإصلاح الفكري كان ثورة على نواحي التأخر في الحياة الاجتماعية والثقافية والتعليمية، كما كان ثورة على الجهل والفقر والمرض، وثورة على الأعداء من استعماريين ورجعيين وطرقيين، فكان من خلال خطابه الأدبي النثري والشعري يدعو إلى تغيير الواقع، وتوعية الجماهير، وتنوير العقول وتحريرها ...، كما لعب دورا فعالا في تعليم أبناء شعبه. فكان لأدبه أبعاد تعليمية متعددة حاولت إظهارها من خلال تتبعي لمجالات المحتوى الموضوعي للأدب الإبراهيمي التي كانت مرآة عاكسة لمفهوم الرسالة الأدبية النضالية تعكس بصدق دور العلامة الشيخ الإبراهيمي في توعية الشعب الجزائري بتقديمه رسائل تعليمية سعى إلى إيصالها من خلال خطابه الأدبي في فترة كانت الجزائر تمر فيها بفترات صعبة حاول المستعمر فيها طمس هويتها ومعالمها وطنا، وعروبة، وإسلاما، فقد كان الإبراهيمي خير معلم ومصلح للأمة العربية جمعاء وهذا يتجلى بوضوح في خطابه النثري والشعري الذي كان مؤمنا بدوره الفعلي والعملي في الإصلاح والتعليم، فهو على وعي أكيد بأثر الرمز الجمالي في إحداث التغيير، وكما يقول عبد الرحمان شيبان: " الشيخ البشير الإبراهيمي قبل أن يكون مفكرا مصلحا وسياسيا محنكا كان أديبا شاعرا عالما فقيها في العربية وخبيرا بأسرارها متضلعا في آدابها وفنونها" .

وفي الختام يجب أن أوضح أن مداخلتي هذه ما هي إلا صورة عاكسة لحقيقة لا يجهلها أحد، وهو أن الأديب الجزائري عاش ولا يزال، لأجل الوطن والإسلام والعروبة.

الهوامـــــش

(1) -استعمال مصطلح "الخطاب" للمنتوج الشعري و النثري متداول في النقد العربي القديم ، ينظر:الخطاب النثري في كتاب المثال السائر للأبن الاثير : بن مساهل باية، رسالة مجستير، جامعة المسيلة، 2009، ص 07.

(2) -النثر الفني عند البشير الابراهيمي: عبد المالك بو منجل، بيت الحكمة، الجزائر ط1، 2009، ص 61.

(3) –ينظر: شخصيات جزائرية : عمربن قينة، دار البعث للطباعة والنشر، الجزائر، ط1، ص54.

(4) -تاريخ الأدب الجزائري: محمد الطهار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، ص 360.

(5) –ينظر: اثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، ج1،ص 18.

(6) - اثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي: أحمد طالب الإبراهيمي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1985، ج4، ص277.

(7) -عيون البصائر: الجزء الثاني من أثار الإمام الإبراهيمي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، ص 63-64.

(8) -المصدر السابق، ص422-423.

(9) - اثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، ج3، ص 117.

(10)- عيون البصائر:ص381.

(11) -عيون البصائر: ص369.

(12) - ينظر: معجم مشاهير المغاربة: أبو عمران الشيخ و فريق من الأساتذة، منشورات حلب، الجزائر،ص13.

(13) -اثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي: ج3، ص71.

(14) -المصدر السابق: ج3، ص426.

(15) - المصدر نفسه: ج3، ص527.

(16) - اثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي: أحمد طالب الإبراهيمي،ج1 ص 139.

(17) -اثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي: ج4، ص407.

(18) -اثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي: ج1، ص63.

(19)- للتوسع ينظر: - اثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي: ج1:ص7-8، ج4:ص323، 359.

(20) -فنون النثر الأدبي في الجزائر(1931-1954) : عبد المالك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،154.

(21) -كلمة كتبت بباكستان1952 م، نقلا عن أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي: ج4، ص68.

(22) -المصدر نفسه: ج4، ص150-151.

(23) -ينظر: عيون البصائر، 13-14.

(24) -ينظر: -اثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي: ج1: ص 413.

(25) -اثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي: ج1، ص172.

(26) ينظر: الشعر الديني الجزائري الحديث: عبد الله ركيبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، 1981، ص23.

(27) النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، عبد المالك بو منجل، ص83.

(28) عيون البصائر، ص492.

(29) -اثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي: ج5، ص83-84-85.